العقيدة العسكرية عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام

إعداد

الدكتور

أحمد مصطفى الصغير

أستاذ مساعد بكلية دار العلوم – جامعة الفيوم

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

العقيدة العسكرية عند العرب
في الجاهلية وصدر الإسلام

د/ أحمد مصطفى الصغير
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم – جامعة الفيوم

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

تمهيد

لم يكن للقوى السياسية المختلفة موقف موحد وعقيدة واحدة فى شن الحرب لأهداف عقائدية، وإنما تفاوتت العقيدة الحربية لها حسب موقفها من العقيدة، فالدخول فى حرب لأسباب دينية تبرره وتدفع إليه موقف الدولة أو الجماعة من الدين. ومن ثم فقد شهدت الجماعات حروبا دينية وأخري لا دينية. إذا بعض الجماعات دينية عقائدية وبعضها لا دينية والجماعات الدينية تتفاوت فيما بينها فى نظرتها إلى الدين أو العقيدة باعتبارها فكرة وفلسفة تدور حولها وتتمسك بها، وهدفا ينبغي تحقيقه والدفاع عنه ضد كل من يحاول النيل منه من الأعداء الخارجيين، أو الجماعات العرقية أو القبلية أو المحلية التابعة للدولة فتمارس الاضطهاد ضدهم.

تستوي فى ذلك نظم الحكم العالمية أو العربية من دول أو قوى سياسية مختلفة ومن الحروب التي نشأت على مستوى النظم غير العربية – لأهداف تتعلق بالعقيدة الدينية، الحرب بين " إيران " و"توران"(١). وقد كان

---

(١) نشأت الحرب نتيجة محاولة حكام " إيران " فرض عقيدتهم الزراد شتيه على "توران" الذين رفضوا ترك معتقداتهم. والأخذ بمعتقدات " إيران " الزراد شتيه انظر:

Scanned by CamScanner

خوض الحروب والتلويح بها أو اضطهاد بعض الجماعات بالدول فيما أعتقد لأهداف دينية تتوخي العقيدة العسكرية تحقيقها باعتبارها هدفًا فى مملكتي سبأ [٨٠٠: ١١٥ ق م] [(١)] وحمير [١١٥: ٥٢٥م] فى بعض الأحيان ولأهداف لا دينية فى أحايين أخرى.

وقد تعرض نصارى نجران لاضطهاد الملك الحميرى " ذى نواس " لخروجهم على أهداف الدولة وسياستها فى الأخذ بالديانة اليهودية كمعتقد رسمي للدولة. يقول الأب جرجس داود: " كان الحكام فى دولتي سبأ وحمير حكاما مدنيين ودينيين فى نفس الوقت، فإلي جانب سلطاتهم الزمنية، كانوا يقومون بواجباتهم الكهنوتية، وخدمة بيوت العبادة"[(٢)].

=

سليمان مظهر قصة الديانات ص ٢٨٩، طبعة المجلس الأعلى للثقافة سنة ٢٠٠٠م. وتوران مملكة ببلاد الترك. انظر ابن خردازبه المسالك والممالك ص١٧، ط مكتبة الثقافة الدينية. وانظر الاصطخري المسالك والممالك ص١٠٤.

(١) يقول تعالى مبينا سبب تهديد سليمان بشن الحرب على سبأ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ (النمل: ٢٥ – ٢٦) وهدد مستشاروا مملكة سبأ بالحرب دفاعا عن عقيدتهم ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (النمل: ٣٣) ولم تتجنب " سبأ " خوض حرب غير متكافئة إلا بالإذعان لعقيدة سليمان وجاء فى التوراة على لسان بلقيس ملكة سبأ قولها لسليمان " ليكن مباركا الرب إلهك الذي سُرّ بك وجعلك على كرسي إسرائيل" العهد القديم سفر الملوك الثاني إصحاح ١٠.

(٢) جرجس داود أديان العرب قبل الإسلام ص ١٣٧. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ط ثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

Scanned by CamScanner

وقد عقدت ملكة سبأ مجلسًا للحرب لمناقشة كيفية الدفاع عن عقيـــدتها " عبادة الشمس " فى مواجهة تهديدات الملك سليمان الذي دعاهم إلى ترك ديانتهم والدخول فى ديانته، ديانة التوحيد وعبادة إله واحد وقد انتهي المجلس إلى التخلي عن عبادة الشمس كهدف لخوض الحرب. والدخول فى طاعة "سليمان " لأسباب سياسية وعسكرية تتعلق بقصور قدرات مملكة سبأ العسكرية [1].

---

(١) ورد بالقرآن الكريم حول مجلس الحرب ومناقشته فى سورة النمل ايات ٢٩-٣٥

Scanned by CamScanner

العقيدة العسكرية عند العرب في الجاهلية

العرب الوثنيون

أشرف العرب العماليق على شئون الكعبة فى بداية أمرها، ثـم تغلبـت عليهم " جرهم " وأخرجتهم من مكة وسـدانة الكعبـة " [١] ويبـدو أن العامـل الاقتصادي كان مصاحبا للعامل الديني كعاملين مؤثرين فى العقيـدة العـسكرية لزعماء قبيلة "جرهم" عندما قرروا انتزاع مهمة الإشراف على شئون الكعبة من أيدي أبناء إسماعيل" عليه الـسلام "، فقـد عمـد زعـيم " جـرهم " الحـارث بن مضاض إلى فرض ضريبة مقدارها " العشر " على كل من يدخل مكة مـن التجار. ولم يتمكن أبناء اسماعيل من استعادة سيطرتهم على مكة وشئون الكعبة إلا بعد حوالى ثلاثة قـرون، حيـث تغلبـوا علـى أخـوالهم مـن " جـرهم" وأخرجوهم من مكة " [٢] وكانت جرهم فى بداية حكم " مضاض" وهو أول مـن قدم مكة من اليمين نكتفي بأخذ العشر بأعلى مكة بينما يأخذ الـسميدع زعـيم " قطوراء " العشر بأسفل مكـة، ثـم دارت الحـرب بينهمـا وقُيَـل الـسميدع وأنفرد مضاض بأخذ العشر ثم ورثه ابنه الحارث الذي تولى الملك بعده [٣].

إلا أن ولاية البيت لم تلبث أن انتقلت من " مضر" إلى أبناء عمومتهم من أبناء " إياد بن نزار" إثر حرب لا دينية مبنية على عقيدة عـسكرية لا تحركهـا الأهداف العقائدية فيما يبدو. إذ اكتفي المضريون بنصر عسكري أحرزوه على "

---

(١) المسعودى التنبيه والأشراف ص٢٠٢. دار صادر بيروت عن طبعة إبريل بمدينة ليدن.

(٢) انظر المسعودى مروج الذهب ج٢ ص٥٠.

(٣) ابن واصل الحموى تجريد الأغانى ق٢ ج١ ص١٦٠٩.

Scanned by CamScanner

الإياديين "، ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن الحجر الأسود- وكان قد فُقد أثناء الحرب- وإعادته إلى موضعه بالكعبة، وأبرموا صفقة مع " خزاعة " تولت بمقتضاها مهمة استرداد الحجر الأسود فى مقابل القيام بالإشراف على شئون الكعبة[1].

ولعل الاستقراء التاريخي لعرب الجاهلية يبعث على الاعتقاد بتوارى تلك الظلال الباهتة للعامل الديني كعامل – وإن لم يكن رئيسا – يكمن خلف عدة عوامل تسعى العقيدة العسكرية لتحقيقها، وتتحرك الأحداث متأثرة بها. فقد قام " عمرو بن لحي الخزاعي " بانقلاب على الديانة الحنيفية، عندما عاد من رحلة له إلى بلاد الشام بصنم[2] نصبه بالكعبة. ولم يكن إفراغ الدين من محتواه سببا كافيا لإعلان القبائل العربية الحرب على " خزاعة " أو مجرد التلويح بها، وقد أدي تخاذل العرب فى الدفاع عن كعبتهم ضد هذا الوافد الغريب " هبل " وضعف الحس الديني لديهم، إلى جلب " عمرو بن لحي " لأصنام أخري، ولم تلبث قبائل العرب أن شاركته نفس الصنيع فنصبوا الأصنام حول الكعبة، وعبدوها، وقد عبر " المسعودى عن ذلك بقوله " وانمحت الحنفية منهم إلا لمعا"[3].

وعندما نازعت " قريش خزاعة " وانتزعت منها الإشراف على البيت، لم تجد بقية القبائل فى ذلك النزاع مسوغا لنشوب الحرب فضلا عن المشاركة فيها.

---

(١) المسعودى مروج الذهب ج٢ ص٥٦.

(٢) يدعى هذا الصنم " هبل " انظر الأبشيهي المستطرف ص ٣٥١. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط أولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

(٣) المسعودى مروج الذهب ج٢ ص٥٦.

Scanned by CamScanner

ورغم ورود بعض الروايات التي أشارت إلى مساندة قبائل بكر الكنانية لخزاعة، إلا أن تلك المساندة كانت باهتة لا ترقي إلى مستوى الحدث، إذا لم تتفق جميع بطون " بكر " على ذلك، وكان موقفها أقرب إلى الحياد منه إلى المساندة لخزاعة بدليل الاحتكام إلى أحد شيوخ بكر وهو عمرو بن عوف الشداخ [1]. ولو افتقر عمرو إلى الحياد لم تصح حكومته ويبدو أن توارى العامل الديني عند خزاعة " كمحرك للأحداث دفعها إلى عدم بذل الجهد المناسب فى الدفاع عن إدارتها شئون الكعبة عندما قام " قصي بن كلاب"[2] زعيم قريش بانتزاع مهمة الإشراف على البيت منها.

ولم يكن " قصي " أقل إغفالاً للعامل الديني من " خزاعة " فلا نجد فى المصادر ما يشير إلى أية محاولة قام بها أو قام بها القرشيون من بعده لمناقشة ذلك الانحراف الديني عن ملة إبراهيم، فضلا عن تصحيحه أو إزالة الأصنام من حول الكعبة. وقد بدا منذ الوهلة الأولى أن العامل السياسي كان هو المحرك الرئيسي للأحداث فقد تولي " قصي" وظائف الكعبة وشغل نفسه بتوريثها ابنه الأكبر عبد الدار ليتسني له من بعده بسط سيطرته على مكة، وفرض زعامته على " قريش" منفرداً لا ينازعه أحد، رغم توفر شروط الزعامة فى " عبد مناف"

---

(١) انظر عبد الرحمن السنيدى بكر الكنانية وعلاقتها بقريش الدارة ص ٢٠-٢١، أعداد ١، ٢ ١٤٢١هـ..

(٢) هو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر انظر الزبيري نسب قريش ص١٢، ١٣

Scanned by CamScanner

أخيه الأصغر"[1]. وعقب وفاة " قصى" أصبحت الساحة خالية أمام بني "عبد مناف " للمطالبة بإرثهم السياسي لأبيهم والمشاركة فى وظائف وسلطات الكعبة، وقد شكل ذلك العامل السياسي هدفا مشروعا للقتال من أجل تحقيقه، وكاد القتال يقع بين بني عبد مناف " المتطلعين إلى السلطة، و" بني عبد الدار " المدافعين عما يرونه حقا لهم فى الاستئثار بها إرثا وحقا مكتسبا، وتحالف مع كل فريق عدد من بطون قريش فقد حالف بني عبد مناف كل من: بني الحارث بن فهر، وبني أسد بن عبد العزى، وبني زهرة بن كلاب، وبني تيم بن مرة. وقد أُطلِق عليهم حلف المطيبين لأنهم غمسوا أيديهم في جفنة مملوءة طيبًا. وحالف بني عبد الدار كل من: بني مخزوم، وبني جمح، وبني سهم، وبني عدي، وقد سُمِّي حلفهم بحلف الأحلاف. ولم يوقف نشوب الحرب بين الفريقين، إلا أتفاق أبرم باقتسام السلطات فيما بينهما[2].

ولم تكن البطون القرشية المتحالفة مع أى من الفريقين تحركها أهداف دينية وإنما أملي عليها موقفها أهداف وتطلعات سياسية سعت إلى تحقيقها، ومن ثم تطور اتفاق ثنائية السلطة بين " بني عبد الدار " و " بني عبد مناف" وتم توسيع دائرة المشاركة، فتولت بطون أخري من قريش بعض سلطات الكعبة " [3].

---

(١) انظر ابن هشام السيرة النبوية ج١ ص٩٢، السيد سالم تاريخ العرب قبل الإسلام ص٣١٦.

(٢) انظر ابن هشام السيرة النبوية ج١ ص٩٣،٩٤.

(٣) انظر صالح العلي تاريخ العرب القديم ص١٤٥. شركة المطبوعات للنشر والتوزيع بيروت – لبنان ط أولي ٢٠٠٠م.

Scanned by CamScanner

وقد أخرج العرب الكعبة من دائـرة الأهـداف الداخلـة فـى نطـاق استراتيجيتهم العسكرية، وقلصوا من دورها إلى حد بعيد.

وكانت محاولاتهم للدفاع عنها ومنع القائد الحبشى أبرهة مـن هـدمها مجرد محاولات دفاعية ساذجة لا ترقي إلى درجة الجدية، بل كانت ذرا للرمـاد فى العيون، ورغبة فى إرضاء النفس وإراحة الضمير إذ سرعان مـا أجهـض أبرهة محاولة قام بها بعض أهل اليمن بقيادة رجل يدعي " ذا نفر " للتصدى لـه وعرقلة مسيره إلى مكة. إذ سارع " ذو نفر " بالاستسلام، وطوَّر مـن موقفـه اللادينى فعرض على أبرهة خدماته فاستبقاه واصطنعه. وقد اتخذ نفس الموقـف اللادينى المناهض للدين والمعتقدات الدينية فرسان من " خثعم " ناوشـوا جـيش أبرهة، ولم يلبثوا أن استسلموا، وعرض زعيمهم " نفيل " الخثعمي على أبرهـة صفقة ينال بموجبها عفو " أبرهة " مقابل قيامه بمهمة الدليل لإبرهـة وجيـشه فى مسيرة إلى مكة لهدم الكعبة " [1].

كذلك وادعت ثقيف أبرهة وتدليلا على مساندتها له أرسلت معـه دلـيلا إلى مكة يدعي " أبو رغال " مات فى الطريق إلى مكة بمكان يقال له " المغمس " بين مكة والطائف " [2] ولم يزد العرب فى رد فعلهم على موقـف ثقيـف مـن غضب لا يخلو من غوغائية إذ اكتفوا برجم قبر "أبي رغال" [3].

---

(١) انظر ابن هشام السيرة النبويـة ج١ ص٣٤، الطبـري تـاريخ الأمـم والملـوك ج١ ص٤٤١،٤٤٠

(٢) المسعودى مروج الذهب ج٢ ص٧٨.

(٣) نفس المصدر ج٢ نفس الصفحة.

Scanned by CamScanner

ولعل مقولة عبد المطلب " إن للبيت ربا سيمنعه " كانت تستند إلى معرفته بافتقار العقيدة العسكرية عند العرب إلى الرموز والمعتقدات الدينية باعتبارها أهدافا يمكن أن تعتبر مبررا كافيا لشن الحرب دفاعا عنها. ومن ثم أوكل عبد المطلب أمر حماية البيت إلى ربه. مسقطا من حساباته القوى السياسية والقبائل العربية على فرضية كونهم غير حريصين على الربط بين معتقداتهم الدينية وأنشطتهم الحربية. ومن ثم فإن موقف عبد المطلب يمكن وصفه بـ " الواقعية السياسية " فحروب القوى القبلية، والنظم السياسية المحيطة كانت بفرض تحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وبعبارة أخري فقد فصلت القبائل والحكومات العربية بين السياسة والدين، وعند ما كان عليها أن تختار بين السياسة والدين رجحت كفة السياسة، ووجدت أن الدفاع عن مؤسسات الحكم وبيوت القادة وشيوخ القبائل أولى وأهم من الدفاع عن بيت الله. ولعل " عبد المطلب " كان يعتقد أن التضحيات المادية هى أقصي ما يمكن الحصول عليه من العرب للدفاع عن الكعبة ومن ثم فقد قابل عبد المطلب أبرهة على رأس وفد يضم سيد " بنى كنانة " نفاسة بن عدى، وسيد " هذيل " هذيل بن واثلة، وعرضوا عليه ثلث أموال تهامة [1] فى مقابل رحيله وعدم التعرض للكعبة إلا أن ذلك

يذكر المسعودى أن الكعبة تعرضت لخطر مشابه فى عهد الملك اليمني تبع بن حسان الذى سار على الحجاز لهدم الكعبة، إلا أنه تراجع عن ذلك، وعاد إلى اليمني دون مقاومة تذكر من القبائل العربية بالحجاز انظر مروج الذهب ج٢، ص٧٦،٧٧

(١) تمتد تهامة من حدود مكة شمالا حتى حدود صنعاء جنوبا وتضم بلاد الحجر انظر الاصطخري المسالك والممالك ص٢٦

Scanned by CamScanner

العرض قوبل بالرفض[1].

ولاشك أن موقف عبد المطلب لا ينبغي التقليل من شأنه فقد عرض الممكن، وترك غير الممكن وغني عن القول أن التضحية بالمال والثروة ليست بالشيء اليسير، فالحروب قد تنشب من أجل الثروة والمال. والقراءة المتأنية للروايات التاريخية المختلفة توضح أن الأموال كانت أقصى ما يمكن التضحية به دفاعًا عن الكعبة، أما التضحية بالدماء وبذل الأنفس في معركة غير متكافئة ضد جيش أبرهة فذلك أمر غير وارد، حتى وإن كان هدف أبرهة المعلن للجميع هو استهداف الكعبة بيت الله المقدس عند العرب وهدمه.

ويبدو أن استبعاد العامل الديني من الأهداف التي تسعى العقيدة العسكرية لتحقيقها لم يكن قاصراً على الموقف الرسمي للحكومات من أمراء وشيوخ قبائل وغيرهم فقد شارك الأفراد العاديون زعماءهم فى اعتبار العوامل اللادينية من سياسية واقتصادية واجتماعية أهدافا للعقيدة العسكرية، وذلك على حساب العامل الديني الذى كان غائبا أو مغيَّبا. ولعل ذلك ما يفسر ذلك القدر من التسامح الذى أبداه العرب تجاه فلول جيش " أبرهة " حتى ليكاد يصل تسامحهم إلى درجة عدم الاكتراث بما كانت تلك الغلول تنوى القيام به من هدم الكعبة وصرف أنظار العرب عنها بل ربما حظي الضعفاء وذوى الحاجة من أفراد جيش الأعداء بالمساعدة: تقول عائشة رضي الله عنها: " لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس"[2].

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية ج١ ص٣٦. الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج١ ص٤٤٢.

(٢) ابن هشام السيرة النبوية ج١ ص٤١.

Scanned by CamScanner

ومن ثم فلم يكن مستغربًا أن يعتبر بعض الباحثين في تاريخ العرب قبل الإسلام أن "فشل أبرهة لم يكن نتيجة لمقاومة المكيين لأن موقفهم كان سلبيًا" وإنما لأسباب خارج نطاق الاهتمام الديني عند العرب(١).

هذا ولعل أهمية مكة لم تكن راجعة كليا إلى العوامل الدينية وحدها ووجود الكعبة بها، وإنما أيضًا لأسباب اقتصادية ساعدت فى تميز مكة التي حوت بيت الله " الكعبة" على بقية الأماكن التي تحتوى بيوت عبادة أخري إذ: "على الرغم من وجود بيوت العبادة فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، فإن واحدا منها لم يجتمع له ما اجتمع للبيت الحرام فى مكة، وذلك لأن مكة كانت ملتقي القوافل بين الجنوب والشمال، وبين الشرق والغرب " (٢) ولم تحتل الأصنام والأوثان مكانة فى الوجدان العربي يجعلها تشكل هدفا تسعي العقيدة العسكرية إلى الترويج له، وحمايته والذب عنه فقد زاد عددها حول الكعبة عن ثلاثمائة وثلاثة عشر تقريبا يتقدمهم هبل معبود قريش(٣). فضلا عن أصنام وأوثان أخري فى مختلف ديار العرب منها " سعد " بساحل جدة وكانت " بنو مالك " و " ملكان بن كنانة " تعبده (٤)، و"المنطيق " وكانت " عك" و "

---

(١) محمد مبروك نافع تاريخ العرب ص١٤٧، مطبعة السعادة بمصر طـ ثانية.

(٢) د. رشا محمود أثر الطرق التجارية على الانتشار القبلي مجلة الآداب جامعة الإسكندرية عدد ٧٠: ص١٢٣.

(٣) الأبشيهي المستطرف ص٣٥١.

(٤) ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص٤٩٠. وانظر عبد العزيز سالم تاريخ العرب قبل الإسلام ص٤٢٠.

Scanned by CamScanner

الأشعريون " و " السّلف " يعبدونه [١] و" ذرّيح " بالنجير جنوب شبه الجزيرة، وكانت " كندة " تعبده [٢] و " ذو الخلصة " وكان تعبده بُجَيْلة، وخَثْعَم، وبنو هلال، وزبيد، وبني الحارث بن كعب، وبني الغوث بن مر بن أدّ [٣] وكان بأرض " خولان" صنم يعبده أبناؤها يدعي " عميانس" [٤] وكان " اللات " بالطائف تعبده قبيلة " ثقيف " [٥].

ورغم أن الحروب كانت سمة بارزة فى تاريخ العرب المليء بالحروب والوقائع المتوالية والمسماة بـ" أيام العرب " فلا يكاد الباحث يجد نموذجا لحرب شُنَّت لأهداف دينية خالصة تبغي تحقيقها. إذ رغم التنافس والتنازع على السيادة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فلم تشن أي من القبائل حربا على قبيلة أخرى لإجبارها على الخضوع لإلهها وعبادته. وعند ما تعرض " سعد " لتعدى أحد الأعراب بالقول والفعل، إذ رماه بحجر قائلاً: لا بارك الله فيك [٦] لم يبدر عن "كنانة " أي رد فعل حربي غضبا لإهانة إلهها. إلا أن مقتل أحد أبنائها وفرسانها " ربيعة بن مكدم " كانت له تداعيات أفضت إلى معركة وقعت أحداثها

---

(١) ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص٤٩٤

(٢) نفس المصدر ص٤٩٣.

(٣) الطبري ج٢ ص ٢٩٥، ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص٤٩٣. دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ثانية ١٩٨٨ م.

(٤) ابن هشام السيرة النبوية ج١ ص٥٨

(٥) ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص٤٩١

(٦) عبد العزيز سالم تاريخ العرب قبل الإسلام ص٤٢٤.

Scanned by CamScanner

فى يوم "برزت"[1]. كذلك تعرض " ذو الخلصة " لموقف مشابه عندما استشاره الشاعر امرؤ القيس فى أمر الثأر لأبيه من قاتليه وضربه بالقداح فى وجهه قائلاً: لو كان أبوك قُتِيل ما عَقَتنى [2]. ولم تشن أى من القبائل التى تعبد " ذا الخلصة " حربا على قبيلة " كندة " أو حتى تطلب دم أمرئ القيس ثأراً لإلهها وردا على إهانته. وقد كان لكندة قبيلة أمرئ القيس إله يدعي " ذرّيح " بمنطقة النجير باليمن " [3] ولم يحاول أبناء القبائل التى تعبد " ذو الخلصة " " كخثعم " أو " بنى بجيلة " أو " بنى هلال " أن تقُدم على إهانة " ذُرَيح" معبود كندة كما أهان الكنديون إلههم.

ولم يكن موقف عدم الاكتراث الديني مقصورًا على العرب الوثنيين، وإنما شاركهم ذلك العرب الأحناف[4] المتمسكون حسب اعتقادهم بديانة إبراهيم إذ لم يقاوم أتباع الحنيفية – وهى ديانة قائمة على التوحيد – ظاهرة تعدد الآلهة التى أوجدها الوثنيون واكتفوا بالرفض النظري عديم الأثر، وابتعدوا عن أية أنشطة حربية للمقاومة وتعايشوا بوحدانيتهم مع الشرك بآلهته المتعددة وأصنامه

---

(١) التيمي أيام العرب ص٣١١: ٣١٤ عالم الكتب بيروت – لبنان طبعة أولي ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٢) على الجندي تاريخ الأدب الجاهلي ج ٢ ص٤٤.

(٣) ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص٤٩٣.

(٤) من هؤلاء الأحناف زيد بن عمرو بن نفيل الذى كان يقول: " فأما عبادة حجراً أو خشبة أو نحتها بيدى فليس بشئ، ومنهم عمر بن عنبة، وقد عرُف عنه قوله " لا أري الأوثان بشيء، وأبو قيس بن الأسلت الأوسي وغيرهم انظر ابن سعد. الطبقات الكبرى ج٣ ق١ ص٢١٦. ج٤ ق١ ص١٥٨. ج٤ ق٢ ص٩٤

Scanned by CamScanner

المتنوعة، بل لم يحاولوا المقاومة الحربية، أو الاعتراض السلمي فيما يبدو على محاولة الوثنيين إضافة مسحة وثنية على التوحيد وهو جوهر الديانة الحنفية، وذلك عندما شكّل الوثنيون صورا لإبراهيم عليه السلام وهو يستقسم بالأزلام فى الكعبة[1].

ويلاحظ في هذا السياق أنه لم يصدر عن العرب والمسلمين في عصرنا الحالي أية ردود أفعال حربية دفاعًا عن المسجد الأقصى، أو ردًا على إساءات متعصبي الغرب للرسول الكريم ﷺ.

وقد كانت الأهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية تشكل حجر الزاوية فى العقيدة العسكرية عند العرب الوثنيين، مع تحريك يسير وشكلي فى سلم الأولويات بينها، فبينما كانت للأهداف السياسية أولوية عند أنظمة الحكم الرسمية، حظيت الأهداف الاقتصادية والاجتماعية بأولوية خاصة عند القوى القبلية فقد شن " بنو عامر بن صعصعة حربا لسبب اجتماعي عندما عبث فتية من قريش وقيل من كنانة بامرأة عامرية، وشد أحدهم درعها من الخلف بشوكة فلما قامت انكشفت. ولم يتوقف القتال إلا عندما تدخل سادة قريش، فودوا القتلى وأرضوا بنى عامر[2] ويورد التيمي خبرا عن حرب دارت بين " بني سعد بن قيس " و" بني شيبان " لأسباب اجتماعية بالغة الخصوصية حيث اعتدت امرأة من " بنى شيبان " على ضرتها من " بنى سعد بن قيس " وحلّت ذوائبها فاعتبر "بنو سعد بن قيس " ذلك إهانة اجتماعية وحمّلوا " بنى شيبان " المسئولية

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية ج٤ ص١٨.

(٢) التيمي أيام العرب ص٥٠٥.

Scanned by CamScanner

لكون الزوج شيبانيًا، وكان رد الإهانة هدفا رأوه كافيا لخوض الحرب وفق تقاليد عقيدتهم الحربية، ولم يرض " بنو سعد بن قيس " ويكفوا عن القتال إلا عندما ألحقوا الهزيمة ببني شيبان [١] ولعل أعداد القتلي من رجال القبيلتين فاقت بكثير أعداد شعرات ذوائب المرأة السعدية التى حلتها ضرتها فى عراك عائلي داخلي بين ضرتين ما زال يحدث حتى القرن الحادي والعشرين ولا تتعدى أصداؤه جدران منزل الزوجية.

اليهود والنصارى

لم تكن شبه جزيرة العرب مقصورة على الوثنيين، وإنما شاركهم العيش بها قلة من العرب النصارى إلى جانب يهود أقل عدداً. وقد وُجدت أديرة ببلاد العرب [٢] يتعبدون فيها. ورغم ندرة الروايات المتعلقة بالنصارى العرب، فإنها تشير إلى وجود مجتمعات نصرانية من أسر ورقيق وأموال فى العديد من المدن كمكة والمدينة[٣]. ولعل البدايات الأولي للنصرانية فى بلاد العرب تعود إلى مبشر يدعي " فيميون " نجح فى حمل أهل نجران على ترك عبادتهم الوثنية، والدخول فى النصرانية " [٤] ونتيجة لتدخل القوى الخارجية تحول المجتمع النصراني بجنوب بلاد العرب إلى كيان سياسي، وذلك عندما غزا الأحباش النصارى بلاد اليمن بسطوا نفوذهم عليها بطلب من البيزنطيين ومباركتهم وذلك

---

(١) التيمي أيام العرب ص٥٩٥.

(٢) انظر بن واصل الحموى تجريد الأغاني ق١ ج١ ص١٤٤

(٣) انظر عبد المجيد بدوى النصرانية فى جزيرة العرب ص١٠. ٢٤

(٤) ابن هشام السيرة النبوية ج١ ص٢٥.

Scanned by CamScanner

كنتيجة لتعرض نصارى نجران لاضطهاد أمير اليمن " ذى نواس " [١].

وقد اعتنق الغساسنة النصرانية، وكذلك المناذرة كما يري كثير من المؤرخين [٢]. كذلك عرفت النصرانية طريقها إلى الطائف"[٣].

ولم تقتصر النصرانية على المجتمعات المدنية، بل تسللت إلى بعض المجتمعات البدوية كربيعة، وقضاعة [٤] وقبيلة طيء[٥] وقبائل بكر وتغلب وكندة [٦].

ويلحظ أن نسبة كبيرة من النصارى فى هذه المجتمعات تنتمي إلى أصول غير عربية، ففي مكة كانوا من العبيد الأحباش [٧] وفى الطائف كانوا من الموالى [٨].

ويبدو أن " فيميون " قد عاش فترة للتبشير بين الغساسنة، أو ربما كان من مواليهم مما جعل البعض ينسبه إليهم [٩] ولم يذكر التاريخ أن قضاعة عمدت إلى الثأر لكنيسة اليمن القليس، والقيام بعمل ضد العرب الوثنيين لخروج

---

(١) جرجس داود أديان العرب قبل الإسلام ص٥٠

(٢) نفس المصدر جرجس داود أديان العرب قبل الإسلام ص١٢٧، ١٢٨.

(٣) نفس المصدر جرجس داود أديان العرب قبل الإسلام ص٨١

(٤) الأبشهي المستطرف ص ٣٥١

(٥) جرجس داود أيام العرب ص٨٠

(٦) جرجس داود أيام العرب ص٨٣

(٧) جرجس داود أيام العرب ص٨١

(٨) جرجس داود أيام العرب ص٨١

(٩) انظر ابن هشام السخان ص٣١٢

Scanned by CamScanner

الدين عن دائرة الأهداف المكونة لعقيدة قضاعة العسكرية، ويجدر ذكر أن حربا دارت بين " قضاعة " و"نزار " لسبب اجتماعي، وهو قيام خزيمة بن فهد القضاعى بقتل يذكر بن عنزة النزارى لرفضه تزويجه أحدى بناته " [1] ولا يكاد الباحث يعثر على روايات تشير إلى دخول نصارى " قضاعة " فى حرب لتحقيق أهداف دينية، أو عقد تحالفات لهذا السبب مع القوى السياسية النصرانية كالغساسنة.

ويلاحظ أن اعتناق بعض العرب للديانة النصرانية لم يكن عميق التأثير في حياتهم، فقد ظلوا على طباعهم وصفاتهم العربية البدوية، ولم يكن هناك فرق واضح بينهم وبين العرب الوثنيين، إذ كانوا يستقسمون بالأزلام ويأخذون بالثأر، ويشربون الخمر مثل المناذرة وأبناء قبيلة تغلب. وقد كانت صور العزراء والمسيح منقوشة على بعض أعمدة الكعبة[٢].

وقد عرفت اليهودية طريقها إلى اليمن، ويذكر المؤرخون أن اليهودية كانت تمثل الدين الرسمي للدولة، فى زمن حكم الملك الحميري " ذي نواس " الذي اعتنق الديانة اليهودية [٣] وحاول فرضها فى مملكته [٤] ولم تقتصر اليهودية على اليمن، فقد عرفت طريقها إلى بلاد الحجاز وكان هناك يهود فى " يثرب "

---

(١) انظر ابن واصل الحموى تجريد الأغاني ق٢ ج١ ص١٤٦١.

(٢) محمد مبروك نافع: تاريخ العرب ص١٣١.

(٣) ابن هشام السيرة النبوية ج١ ص٢٦.

(٤) يرجح د. عبد العزيز سالم أن " ذا نواس " كان وثنيا، وما ورد من آيات القرآن الكريم فى سورة " البروج " يشير إلى أنه دعا قومه إلى الوثنية، وليس إلى اليهودية. انظر د. سالم تاريخ العرب قبل الإسلام ج١ ص١٢٧.

Scanned by CamScanner

و " خيبر " وغيرهما. وتسللت اليهودية أيضا إلى بعض القبائل فكانت في نمير وفى بني كنانة وبنى الحارث بن كعب وكندة [1] ويلاحظ أن اعتناق العرب لليهودية لم يكن على نطاق واسع وإنما كان في نطاق المحدود لا يتعدى الأفراد ولم تُشر المصادر إلى عشائر أو قبائل تهودت عن بكرة أبيها، وذلك لاختلاف طبائع اليهود القائمة على الحرص عن طبائع العرب القائمة على الكرم إلى غير ذلك من الاختلافات في الطبائع بين العرب الوثنيين واليهود.

ولا نكاد نعثر على أخبار تفيد مشاركة يهود " نمير " فى حروب نشبت لأهداف دينية، فقد دخلت نمير حربا فى يوم "شواحط" لأهداف اجتماعية أعتبرها العرب أهدافا لعقيدتهم العسكرية وذلك عندما عرّض عقيل بن مالك النميرى بزوجة جوية بن نصر الجرمي وتدعى " قلوص " فطعنه جؤية طعنة أردته قتيلا ".

هذا، ولا يبدو أن الهدف الديني كان يمثل أحد الأهداف الرئيسية التى تسعى العقيدة العسكرية عند الحميريين إلى تحقيقها، فقد كانت الأهداف السياسية والاقتصادية هى الأساس، فقد نمت إلى " ذى نواس " أخبار تشير إلى صلات بين نصارى مملكته وبين الأحباش، وأنهم كانوا يرسلون الهدايا إلى النجاشي [2].

هذا ولم تشكل الأهداف الدينية الأهداف الأهم التى تقوم إستراتيجية دولة الغساسنة وسياستها على أساسها. بينما شكلت الأهداف السياسية والاقتصادية حجر الزاوية فى العقيدة العسكرية لهم بما تشمل من حروب وتحالفات وغيرها،

---

(١) الأبشيهي المتطرف ص٣٥١.

(٢) انظر تسمي بلاد العرب ص٣٤٣.

Scanned by CamScanner

يقول الأب جرجس داود: " أنا لا أري أن العنصر الديني

هو السبب فى ميل الغساسنة إلى بيزنطة، بل السبب الأهم هو النزاع القبلي وحب التسلط [1] ويرجح فرضية أن العامل الديني والدفاع عنه وعن المقدسات لم يكن هدفا كافيا لتجييش الجيوش، وشن الحروب فى عرف العقيدة العسكرية عند العرب النصارى مثل الوثنيين – ولا يعد وأن يكون هدفا ثانويا على أفضل تقدير لا يكفي وحده لإعلان حرب ونشوب قتال. ولعل مما يدعو إلى هذا الاعتقاد أن تدنيس " القليس " كنيسة اليمن العظمى لم تحرك لدى النظم والقبائل العربية ساكنا. فلم يعلنوا الحرب على الوثنيين العرب الذين قاموا بتدنيسها. وإنما هب للثأر النصارى الأجانب من الأحباش الذين كانوا يحتلون جنوب بلاد العرب. ولم يسجل التاريخ محاولات جادة قام بها الأفراد على المستوى الشعبي لتأليب حكوماتهم النصرانية، التي لم يزد دورها على أن تركت الأمر للأحباش أن يخوضوا حربا بالوكالة عن نصارى العرب رداً على حدث تم على أرض عربية وبأيدي عربية.

وقد كان نصارى العرب ينظرون إلى "القليس" باعتبارها كنيسة الأحباش ورمز الاحتلال الحبشي لبلادهم فلم يقلقهم ما تعرضت له من إهانة- إن لم يكن ذلك لقي ترحيبهم- على المستوى السياسي، إضافة إلى أن أمر المعتقدات لم تشغل لديهم ما يليق بها من اهتمام.

---

(١) د سالم تاريخ العرب قبل الإسلام ج١ ص١٢٧.

Scanned by CamScanner

العقيدة العسكرية فى صدر الإسلام

نشأت الجماعة السياسية فى الإسلام من الجماعة الدينية [١] ومن ثم فقد كانت: " حقيقة الإسلام شاملة تجمع بين شئون الناحيتين المادية والروحية " [٢] وقد أدى هذا التغير فى طبيعة المجتمع العربي مع قيام الدولة الإسلامية إلى تغير فى العقيدة العسكرية عما كانت عليه من قبل، إذ تراجعت الأهداف السابقة التى كانت عقيدة العرب العسكرية تسعى إلى تحقيقها أمام هدف جديد تمتع بصدارة جميع الأهداف وهو الهدف الديني وقد عبر فلهوزن عن هذه الحقيقة الجديدة بقوله: " وكان الإسلام قد جر القلم على الماضي وعلى أسباب الحرب من قبل"[٣] وقد عبر الرسول ﷺ عن هذا الهدف الديني الجديد بقوله خلال دعائه أثناء غزوة بدر: " اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد" [٤].

ولذلك فقد أشار المسلمون منذ العهد النبوي إلى عقيدتهم العسكرية المستندة إلى أساس ديني من خلال رايات سطروا عليها عبارة لا إله إلا الله، محمد رسول الله " [٥]. وهى أساس الديانة الإسلامية القائمة على التوحيد. ولعل إدراك أبى سفيان لهذا التطور الذى تم فى العقيدة العسكرية لصالح القيم

---

(١) تاريخ الدول العربية ص ١

(٢) د. الريس النظريات السياسية الإسلامية ص ١٩، دار المعارف بمصر ط خامسة ١٩٦٩ م.

(٣) فلهوزن تاريخ الدولة العربية ص ٢١

(٤) ابن هشام السيرة النبوية ج٢ ص ١٤٠، الطبري ج٢ ص ٢٢

(٥) انظر ابن ظهيرة الغرة في أحوال المصطفى ص ٦٩٢.

Scanned by CamScanner

الدينية كان وراء حرصه على اصطحاب " اللات والعزى " معه فى غزوة أحد، يستنصرهما على المسلمين[١] وكأنه أراد أن يواجه إله المسلمين بآلهة وثنية آل أمرها إلى ما يشبه الموروث التراثي منه إلى الحقيقة المعاشة، ولعل ذلك ما جعل أبا سفيان يهتف فى المراحل الأخيرة من معركة أحد " أعل هبل "، " لنا العزى ولا عزى لكم "، وقد رد المسلمون على هتافه بقولهم " الله أعلي واجل "، الله مولانا ولا مولى لكم " [٢].

وقد كان لأبي الدرداء " عويمر بن زيد صنم خاص به لم يغضب له عندما حطمه " عبد الله بن رواحة – وكان قد اسلم وسرعان ما ترك عبادة الأصنام وأسلم [٣].

ومن الظواهر الدينية فى الحروب الإسلامية صلاة الخوف وقد شرعت فى المحرم سنة خمس من الهجرة حيث صلاها المسلمون خلف النبي صلي الله عليه وسلم أثناء أحداث غزوة ذات الرقاع [٤] بينما لم تكن القبائل العربية تؤدى أية طقوس لعبادة آلهتهم الوثنية أثناء حروبهم وذلك لانعدام الإحساس الديني والافتقار إلى الأهداف العقائدية فى حروبهم وقد شهدت الحروب الإسلامية تطوراً هاما وهو الحرب الدفاعية مثل غزوة الخندق، دفاعًا عن الدين ممثلا فى عاصمته المدينة.

---

(١) جرجس داود أديان العرب قبل الإسلام ص١٣١

(٢) انظر الطبري ج٢ ص٧١

(٣) ابن سعد الطبقات الكبري ج٧ ص١١٧.

(٤) الطبري تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٨٦

Scanned by CamScanner

وقد ألغت العقيدة العسكرية الإسلامية الأخذ بالثارات الشخصية أثناء الحروب ممن احتمى بمظلة العقيدة الإسلامية، بينما لم تلغها عمن لم يؤمن نفسه بالإسلام فالإسلام عقيدة أمان، ومن حالات الثأر الشخصي أثناء القتال ممن لم يتمتع بحق اللجوء العقائدي للإسلام. ما حدث أثناء غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة. عندما خرج مرحب اليهودي من الحصن داعيا إلى المبارزة.... فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور الثائر، قتلوا أخي بالأمس... وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله [1] وهذا ثأر شخصي للثأر عند محمد بن مسلمة عام للمثأور منه مرحب فقد أعتبره محمد بن مسلمة ممثلا لليهود بصفة عامة.

وفى بدر كانت هناك مرجعية دينية مكتوبة للعقيدة العسكرية، وفى مرحلة الإعداد التشاورى ومع قيام الدولة الإسلامية بيثرب وجد الوثنيون من العرب وغيرهم أنفسهم أمام عقيدة عسكرية جديدة تعتمد الهدف الديني هدفا أساسيا وتعتبره حجر الزاوية، بينما تتأخر الأهداف الأخرى من سياسية واقتصادية واجتماعية باعتبارها أهدافًا تسعى العقيدة العسكرية الإسلامية لتحقيقها. ومن ثم حدث صراع بين عقيدتين عسكريتين إحداهما قديمة توشك على الزوال وأخري جديدة توشك أن تسود، وتساهم فى إيجاد مجتمع جديد بمكونات مختلفة عن المجتمعات السابقة يقوم على دعامتين إحداهما سياسية والأخرى دينية: " وكان الدخول فى الإسلام عملا سياسيا، وانضماما إلى الأمة

---

(١) الطبري تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٣٦.

Scanned by CamScanner

في المدينة " [1] وكان التلكؤ في الانضواء إلى الأمة الإسلامية يعني تمسك الجماعة بالقديم ريثما يعمها الإسلام ويلزمها بعقيدته العسكرية.

ولعل من مظاهر الصراع بين العقيدة العسكرية الإسلامية الجديدة ونظيرتها الجاهلية القديمة. في فترة التحولات ما قام به " بنو عجل " ومن شايعهم من بني بكر يوم الشيطين. إذ قرروا شن حرب أخيرة وفقا للعقيدة العسكرية في الجاهلية قبل الدخول في الإسلام، والأخذ بعقيدته العسكرية الجديدة إذ قالو " إن في دين عبد المطلب أن من قتل نفسا قُتيل بها، فنغير هذه الغارة ثم نسلم عليها، فأغاروا على بني تميم وأصابوهم " [2].

وقد تمسكت القبائل العربية بعقيدتهم العسكرية حتى اللحظة الأخيرة، ولم تحدث تحريكا أو تغييرا على الأهداف التي تسعى لتحقيقها فظلت الأهداف الدينية مستبعدة لحساب الأهداف الأخرى.

وفي هذا الإطار لم تحرك ثقيف ساكنا ولم تدخل الحرب ضد المسلمين عندما أهان الرجل الثاني في الدولة "أبو بكر بن أبي قحافة" معبودتهم "اللات"[3] وذلك ردا على ما بدر من " سهيل بن عمرو" موفد قريش إلى النبي صلي الله عليه وسلم من استخفاف بهم. ورغم عدم اكتراث ثقيف بإهانة معبودتهم واعتبار ذلك لا يرقي ليكون هدفا يدخل ضمن نطاق الأهداف الحربية المسوَّغة لديهم لشن

---

(١) فلهوزن تاريخ الدولة العربية ص٢٠

(٢) التيمي أيام العرب ص٤٤٣

(٣) كانت اللات بالطائف لثقيف. مبنية على صخرة ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص٤٥٠.

Scanned by CamScanner

الحرب فقد دخلوا فى حرب مع المسلمين لأسباب سياسية تتعلق بالدفاع عن كيانهم ومحاولة منع الدولة الإسلامية من بسط سيطرتها عليها. وبذلوا جهداً التطويع أهداف العقيدة العسكرية الإسلامية لأساليب التفاوض السياسية رغبة فى الوصول إلى أنصاف حلول، وتطبيق سياسة التنازل عن البعض خير من فقد الكل، ومن ثم فقد قدموا عرضا بترك اللات لمدة ثلاث سنوات، وأن يتم إعفاؤهم من الصلاة، وإعفاؤهم من تكسير أصنامهم بأيديهم، وقد رفض النبيﷺ الطلبين الأولين لأنه يفرغ الدين من محتواه، بينما لم يجد بأسا من موافقتهم على الطلب الأخير[1]، ومن ثَمَّ أرسل أحد أصحابه لهدمها.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ج٤: ص ٩٩.

Scanned by CamScanner

مرجعية العقيدة العسكرية

العصبية القبلية:

لم تستند العقيدة العسكرية للعرب الوثنيين إلى مرجعية مدونة تحدد طبيعة الأهداف التي تسعى تلك العقيدة إلى تحقيقها. وإنما كانت لهم مرجعية شفهية ذات طابع عملي ساهمت فى ثبات القيم العسكرية، وتوَحُّد أهدافها.

إلا أنه يمكن معرفة مرجعية الوثنيين العرب العسكرية من خلال دراسة النشاط الحربي ومراحله المختلفة من أسباب وأحداث ونتائج لوقائع العرب وأيامهم الشهيرة، ودراسة مسرح الأحداث الحربية والعوامل الجغرافية المحيطة بها. وجدير بالذكر أن تاريخ العرب الجاهليين يغص بتلك الأنشطة الحربية فى صورة تراكمية منذ عصوره الأولى وحتى قيام الدولة الإسلامية بالمدينة ويثرب[1]. وهى أنشطة تعتبر مرجعية تاريخية فيما بعد.

ومن خلال متابعة الحياة الحربية فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام يتضح أن العصبية القبلية شكلت مرجعية بالغة الأهمية للعقيدة العسكرية وهى مرجعية مستمدة من ممارسات سياسية وأنشطة متتالية افتقرت إلى العدالة وحتمت على أبناء القبلية الواحدة، والمنتمين لعصبية واحدة التناصر فيما بينهم بغض النظر عن عدالة القضية التي يتناصرون من أجلها، ويقاتلون فى سبيل

---

(١) يمكن إلقاء الضوء على الأحداث التاريخية وتفسيرها من خلال النظر إلى التراكم الزمنى لحركة التاريخ والعوامل الجغرافية المحيطة بها – انظر د. محمود أحمد بدر تفسير التاريخ علم الفكر ص٨.

Scanned by CamScanner

تحقيقها، وساد مبدأ " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " حتى كاد ذلك المبدأ يصبح حجر الزاوية فى عقدية حربية ذات أساس راسخ فى الوجدان العربي الذي أثـر فيه وتأثر به.

الشعر والنثر

وقد استند مؤرخو العرب فى حروبهم إلى مرجعية لغوية يمثل الشعر فيه الجانب الأكبر لما يحويه من عوامل الخلود المتمثلة فى الوزن والقافية التى تيسر حفظه فى صدور العرب الجاهلين الذين فشت فيهم الأمية، وقلما اعتمدوا علـى الكتابة وسيلة لتسجيل ذاكرتهم التاريخية ووقائعهم الحربية، ولذا قيـل " الـشعر ديوان العرب " ومن ثم خلفَ العرب ميراثا شعريا حربيا تمثلوه أثناء حـروبهم واهتدوا به وحاولوا محاكاته.

وبجانب الشعر كان النثر وكثرت الخطب القتالية تذكيراً بالثارات، وشحذ الهمم، وحضا على القتال قبيل المعركة وأثناءها والفخر بالنصر عقب انتهائها.

السدنة والأصنام

كذلك شكل سدنة بيوت العبادة مرجعية لعقيدة العرب العسكرية وقد حظي السدنة على مكانة شرفية، وربما أضفوا عليهم لقب " رب " يصور ابـن حـزم كيفية التعامل مع تلك المرجعيـة بقولـه: "..... فـإذا أرادوا أمـرا، يعطـون السادن مائة درهم وجزورا، ويقولون له " يا إلهنا " أخرج لنا الحق فى كذا وكذا، ثم يضرب السادن [1]، ويحفل سجل العرب الحربي بكثير من صور المرجعية

---

(١) ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص٩٢؛

Scanned by CamScanner

العسكرية للسدنة والكهان. ومن ذلك لجوء " بني أسد " إلى " عوف بن ربيعة " لأخذ مشورته فى الحرب مع " كندة "، فقد تكهن لهم ثم أملي عليهم قرار الحرب " [1] إلا أن السدنة والكهنة كانوا يشكلون مرجعية غير ملزمة وآراؤهم للاستئناس بها وقرارتهم أو نصائحهم غير واجبة التطبيق. وإذا تعارضت الآثار المترتبة على هذه المرجعية مع الآثار المترتبة على المرجعيات الأخرى خاصة العصبية القبلية، فقد كان العرب يقدمون العصبية ويعملون بمقتضاها. ولعل ذلك راجع إلى أن العصبية القبلية كانت يشكل مرجعية حسية واقعية معاشة، بينما تعود نصائح وقرارات السدنة والكهان إلى مرجعية غيبية، ويبدو أن مزاج العرب الوثنيين كان أقرب إلى الأخذ بالحسيات منه إلى الاعتقاد الجدى بالغيبيات. فما كان أسهل عليه إذا خرجت القداح أو نصح السدنة بما لا يوافق هواهم، ما كان أسهل من أن يعتدوا على الأصنام وسدنتها بالقول أو بالفعل ويضربوا بمشورته عرض الحائط. ويبدو أن عدم التعويل على هذه المرجعية الغيبية خاصة عند تعارضها مع المعطيات الحسية للواقع. ظاهرة أصابت السدنة والكهان أنفسهم فقد: " كان الأسود العنسي كاهنا فى الجاهلية " [2]. وعندما تغير الواقع السياسي فى بلاد العرب بقيام الدولة الإسلامية، ترك الكهانة ثم لم يلبث أن تنبأ.

التقاليد والأعراف:

كذلك شكلت التقاليد العربية من فروسية وكرم، ونجدة، وإغاثة، وحماية

---

(١) انظر على الجندى تاريخ الأدب الجاهلي ملحق ج١ ص٨١.

(٢) الخضرى تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٥١

Scanned by CamScanner

للحريم والممتلكات مرجعية هامة للعرب الوثنيين، وقد بالغوا فى ذلك، حتى أسبغ بعضهم حمايته وأعلن جواره للطير والوحش كما فعل كليب بن وائل، وقد نشبت حرب البسوس بسبب ناقة تمتعت بجواره وحمايته. وقد اتسع مفهوم العقيدة العسكرية عند"هوازن" ليجعل من أهدافها شن الحرب على "كنانة " لأن أحد أفرادها قتل قردا لرجل من هوازن، وكاد القتال ينشب بين القبيلتين لولا تدخل بعض العقلاء برئاسة عبد الله بن جدعان(١).

مرجعيات العرب من أهل الكتاب:

وقد كان للعرب اليهود مرجعية مدونة تثمل فى "التوراة " وهو كتابهم المقدس الذي يحوى بين دفتيه أخبار الكثير من الوقائع والحروب ويتطرق لأهداف العقيدة العسكرية لديهم. وقد حاول اليهود منذ فجر تاريخ الديانة اليهودية أن يشنوا حروبهم مستندين على مرجعية توراتية، وبالغوا فى ذلك. إذ جسَّدوا روح الإله واصطحبوا معهم سفطا عند غزوهم أرض كنعان مدعين أنه يحوى روح الإله يهوه(٢).

وقد تأثرت العقيدة العسكرية عند اليهود فى شبه الجزيرة العربية – فيما يبدو بالمحيط الجغرافي والبشري حولهم فلم تكن الأهداف الدينية مسوغا لشن الحرب فى عقيدتهم العسكرية.

أما المرجعية المدونة للعقيدة العسكرية عند النصارى العرب فتتمثل فى " الإنجيل " كتابهم المقدس ولعل عدم المشاركة الفعَّالة لتعاليم الإنجيل فى الأحداث

---

(١) التنمي أمة العرب ص٥٠٥، ٥٠٦.

(٢) سليمان مظهر قصة الديانات ص٣١٨ المجلس الأعلى للثقافة ط ٢٠٠٠م.

Scanned by CamScanner

الحربية لا تعود إلى روح التسامح ونبذ الحرب والعنف التى يلح عليها بقدر ما تعود إلى ضرورة سياسية وعسكرية أملتها عليهم الوقائع على أرض بلاد العرب، إذ شكلوا أقلية فى العصر الجاهلي ما كان لها أن تصمد فى مواجهة خصوم آخرين من العرب الوثنيين، فضلا عن أن العرب الوثنيين تعاملوا مع النصارى بتسامح، ولم يحاولوا صرفهم عن ديانتهم أو فرض الوثنية عليهم وربما أغارت قوى عربية نصرانية على أخرى تشاركها عقيدتها لأهداف سياسية تتوخي عقيدتها العسكرية تحقيقها [1].

هذا وربما كان خلو الإنجيل من أية آيات تدعو إلى الحرب جعل نصارى العرب أقل ميلاً إلى الصراعات، وجعل بقية العرب من الوثنيين وغيرهم أقل ميلاً إلى الصدام أو الدخول في صراعات معهم.

---

(١) انظر جرجس داود أديان العرب ص١٢٨

Scanned by CamScanner

خاتمة

لم تكن مرجعية العقيدة العسكرية للعرب في الجاهلية مستندة إلى أسس دينية، فلم تكن الأديان وما يتعلق بها من رموز وطقوس ومظاهر عبادة إلا إطارًا شكليًا هشًا لحياة دينية باهتة، ليس لها أثر يُذكر في نفوس العرب؛ وبالتالي فلم يكن لها القدرة على تحريك الأحداث الحربية أو التأثير فيها؛ ومن ثم فلم تشهد الحياة السياسية حروبًا نشأت بين القبائل لأسباب دينية، على الرغم من الحروب الكثيرة التي خاضتها لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية.

ويُلحظ أن بعض هذه الحروب كانت أسبابها مبالغًا فيها، وتعد غير مقبولة أو مبررة، خاصة الحروب التي نشبت لدواعي اجتماعية.

ومجمل القول: إن العقيدة العسكرية للعرب في العصر الجاهلي كانت عقيدة ذات مرجعية لا دينية، ومع قيام الدولة الإسلامية بالمدينة تطورت مرجعية العقيدة العسكرية، وتغيرت أهدافها، فأصبح للأهداف الدينية الصدارة، وتمحورت حول الدين والدفاع عنه، وتعريف مختلف الشعوب بالثقافة المرتبطة به، والدعوة إلى اعتناقه، وفي نفس الوقت تراجعت الأسباب الأخرى التي صارت تابعة للدين، بعد أن كان الدين متواريًا خلفها؛ ومن ثَمَّ خاضت الجيوش حروبًا مستندة إلى مرجعية دينية.

Scanned by CamScanner

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

١- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله [ت ٣٠٠هـ]): المسالك والممالك مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ط أولى.

٢- ابن سعد (محمد بن سعد [ت ٢٣٠ هـ]): الطبقات الكبري دار التحرير – القاهرة ١٩٦٨ م.

٣- ابن هشام (أبي محمد بن عبد الملك بن هشام المعافرى [ت ٢١٣ هـ]): السيرة النبوية تحقيق محمد فهمي السرجاني - المكتبة التوفيقية بالحسين – القاهرة.

٤- ابن واصل الحموى: تجريد الأغاني تحقيق طه حسين، إبراهيم الإبيارى الهيئة العامة لقصور الثقافة الذخائر ١٩٩٨.

٥- أبو عبيدة (معمر بن المثني التيمى): أيام العرب قبل الإسلام تحقيق د. عادل جاسم البياتي عالم الكتب بيروت – لبنان طبعة أولي ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٦- الإصطخرى (أبو اسحق إبراهيم بن محمد): المسالك والممالك تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحيني الهيئة العامة لقصور الثقافة الذخائر ٢٠٠٤م.

٧- البلاذري (أبو العباس احمد بن يحي بن جابر): فتوح البلدان تحقيق عبد الله أنيس – عمر أنيس مؤسسة المعارف بيروت – لبنان ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

٨- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير [ت ٣١٠هـ]): تاريخ الأمم والملوك دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ثانية ١٩٨٨ م.

٩- المسعودى (على بن الحسين): التنبيه والإشراف دار صادر بيروت عن طبعة بريل بمدينة ليدن.

Scanned by CamScanner

١٠- الأبشيهى(شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح): المستطرف فى كل فن مستظرف شرحه ووضع هوامشه د مفيد محمد قميحه الجزء الأول دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط أولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

ثانيا: المراجع

١- جرجس داود: أديان العرب قبل الإسلام، ووجهها الحضاري والاجتماعي المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت – لينان ط ثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢- سليمان مظهر: قصة الديانات المجلس الأعلى للثقافة ط ٢٠٠٠ م.

٣- صالح أحمد العلي [دكتور]: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية شركة المطبوعات للنشر والتوزيع بيروت – لبنان ط أولي ٢٠٠٠م.

٤- على الجندي [دكتور]: تاريخ الأدب الجاهلي مكتبة الأنجلو بالقاهرة ١٩٧٣ م.

٥- على حبيبة [دكتور]: عصر الرسالة مكتبة الشباب القاهرة ١٩٧٣م.

٦- محمد جمال الدين محفوظ المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٦ م.

٧- مصطفى الرافعي [دكتور]: حضارة العرب فى العصور الإسلامية الزاهرة دار الكتاب اللبناني – دار الكتاب المصري ١٩٧٨ م.

٨- محمد ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية دار المعارف بمصر ط خامسة ١٩٦٩ م.

٩- محمد مبروك نافع: "تاريخ العرب" عصر ما قبل الإسلام، مطبعة السعادة بمصر طبعة ثانية ١٩٥٢.

Scanned by CamScanner

ثالثا: المترجمات

١- يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة: المجلس الأعلى للثقافة ميراث الترجمة العدد [٨٤٨]، ٢٠٠٥ م.

رابعا: الدوريات

١- أحمد محمود بدر [دكتور]: تفسير التاريخ من الفترة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة عالم الفكر مجلد ٢٩ عدد ٤ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ابريل – يونيو ٢٠٠١.

٢- رشا محمود بغدادي [دكتور]: أثر الطرق التجارية على الانتشار القبلي بالحجاز فى عصر ما قبل الإسلام مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عدد ٤٧ ١٩٩٨/٩٧ م.

٣- عبد الرحمن بن علي السنيدي: بكر الكنانية وعلاقتها بقريش أثناء مواجهتها مع المسلمين الدارة العددان ١، ٢ السنة السادسة والعشرون ١٤٢١ هـ دارة الملك عبد العزيز – السعودية.

٤- عبد المجيد أبو الفتوح بدوى [دكتور]: النصرانية فى جزيرة العرب وسياسة الرسول صلي الله عليه وسلم تجاه النصارى ندوة التاريخ الإسلامي دار العلوم جامعة القاهرة المجلد السابع ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م.

٥- كاربين آرومسترونج: سيرة النبي محمد ترجمة د. فاطمة نصر، د. محمد عناني عرض و دراسة د. عبد الرحمن سالم مجلة دار العلوم – جامعة القاهرة العدد ٢٣ – ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٦- محمد جمال الدين محفوظ: سنة الرسول صلي الله عليه وسلم فى القيادة وإدارة الحرب مجلة مركز البحوث السنة والسيرة – جامعة قطر – العدد الثالث ١٤٠٨ – ١٩٨٨م.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

المحتويات

م	الموضـــــــــوع	الصفحات
(١)	**قـراءة في القيـاس النحـوي** د/ محمد رفعت حمدان أحمد سطوحي	١- ٥٠
(٢)	**اسم الفاعل بين التنوين والإضافة في القرآن الكريم** **دراسة دلالية** د/ إسلام محمد عبد السلام	٥١- ١٠٦
(٣)	**التطاول على الرسول ﷺ** د/ محمد بن عبدالله بن صالح السحيم	١٠٧-١٨٢
(٤)	**أهم مبادئ التشريع العقابي فى الإسلام** د/ السيد الصافي محمد	١٨٣-٢٣٧
(٥)	**أصنـــاف المـــارين بين يدي المصلـــي** د/ عبد الرحمن بن أحمد الجرعي	٢٣٩-٢٧٦
(٦)	**حديث الآحـــاد وأثره في الأحكام الفقهية** **دراسة فقهية حديثية** د/ محمد خلف بني سلامة د/ موفق محمد عبده الدلالعة	٢٧٧-٣٨٤
(٧)	**واضح الدليل والبرهان في الرد على القائلين بخلق القرآن** **لأبي المعالي محمد بن علي الوفائي الشافعي** د/ ناصـــر بن عبدالرحمن بن محمد الجديع	٣٨٥-٤٣٤
(٨)	**مقدمـــة في فرائد القرآن** **دراسة دلالية للتراكيب الفريدة**	٤٣٥-٥٣٠

Scanned by CamScanner

م	الموضـــــــــوع	الصفحات
	في القرآن الكريم د/ نصر سعيد عبد المقصود	
(٩)	خيار العيب في الفقه الإسلامي دراسة في المذاهب الأربعة د/ علي محمد عفيفي	٥٣١- ٦٣٠
(١٠)	رَتــوة العلمـاء د/ إبراهيم إدريس علي حجاي	٦٣١- ٦٦٦
(١١)	الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة زمن سلاطين المماليك د/ صبحي عبد المنعم محمد	٦٦٧- ٧٢٠
(١٢)	ألقاب الملك عبد العزيز أصولها التاريخية وأبعادها السياسية د/ هيا بنت عبد المحسن البابطين	٧٢١- ٧٥٨
(١٣)	قسم الأدب والنقد الشاعر الجاهلي اغتراب وألم د/ ياسر عكاشة حامد	٧٥٩- ٨٤٢
(١٤)	العقيدة العسكرية عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام د/ أحمد مصطفى الصغير	٨٤٣- ٨٧٨

طبع في دار العلم

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner